

الحفائر الملكية بجلوان

عندما تحقق حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم حفظه الله أهمية المنطقة الواقعة بحرى عزبة الوالدة - شمال حلوان الحمامات الغربي- من الوجهة الأثرية ، بادر فأصدر أمره الكريم لمصلحة الآثار المصرية للبدء فوراً في إجراء حفريات علمية منظمة على نفقة جلالته الخاصة . وسيبقى علم الآثار المصرية مدينا إلى الأبد لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول لتفضله بتمويل هذه الحفائر .

وكان ندى لادارة هذه الحفائر شرفاً لا مزيد عليه . ولا يقتصر تشجيع جلالة الملك على تمويل الحفائر فحسب ، ولكن جلالته يتفضل من وقت لآخر بزيارة المنطقة وإبداء النصح وسديد التوجيه .

وبالرغم مما قد أصاب هذه المنطقة من التخريب والتدمير الذى يشاهد فى جميع المناطق الأثرية ، كانت النتائج التى وصلنا إليها بعد العمل فيها فى المواسم الخمسة السابقة باهرة من كل الوجوه ، سر بها من زار الحفائر من رجال الآثار وغيرهم من مصريين وأجانب .

والجزء الذى كشفناه حتى الآن يعد يسيراً بالقياس إلى المنطقة كلها ، وقد تم كشف ما يقرب من خمسة آلاف مقبرة بين كبيرة وصغيرة ، عثرنا فيها على مجموعة قيمة من الآثار ، بعضها جديد علينا لم ير أحد من علماء الآثار نظيراً له من قبل ، كما وقفنا لمعالم جديدة فى فن المعمار خالفت ما كان معروفاً ومسلماً به من قبل فى النظريات الأثرية .

ويرجع تاريخ هذه المنطقة إلى الأسرتين الأولى والثانية ، بدليل أسماء ملوك الأسرة الأولى وبعض ملوك الأسرة الثانية التى عثرنا عليها مكتوبة

على سدادات الأواني الفخارية ، وكذلك على بعض الأواني الفخارية والحجرية من مختلف الأنواع كالاردواز والالباستر . كما عثرنا على قطع صغيرة من الفيانس حفر عليها اسم الملك وطعمت بمادة غريبة . وعثرنا على أسماء بعض كبار الموظفين الذين كانوا في خدمة ملوك هذا العصر .

الموسم الأول

بدأ القيام باجراء هذه الحفائر في ٨ يوليه سنة ١٩٤٢ في المنطقة الواقعة على بعد كيلومترين شمال عزبة الوالدة بالقرب من حلوان ، وانتهى منها في ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٢ .

وقد تمكنا من الكشف عن ٧٣٥ مقبرة من بينها عدة مقابر كبيرة الحجم ، وجد معظمها منهوياً ، ولم ينبج من الذهب والفضة سوى ١٤١ مقبرة . ولكن أمكننا بواسطة الحفر المنظم أن نعثر على مجموعة من أوان وجرار من المرمر والشست (الاردواز) والحجر الجيري الأصفر والبريشيا والدبرويت والدوليت والفخار ؛ وهي من الطراز الذي يعثر عليه عادة في مقابر الأسرة الأولى ، يستثنى من ذلك بعض نماذج جديدة لم يعثر عليها من قبل .

وعثر في المقابر السليمة على كثير من عقود الخرز في رقاب الهياكل البشرية للموتى ، كما وجدت أساور من الخرز في معاصمها . وعثرنا في بعض المقابر على أساور من العاج والصوان والاردواز وبعض آثار من العاج كقطع اللعب ورموز الآلهة ودبابيس الشعر ، وقطع من العاج تمثل رؤس حيوانات لها أجسام طويلة ربما كانت نماذج لمناجل أو مما يستعمل في الطقوس الدينية . كما عثرنا على مجموعة كبيرة من السكاكين والنصال المصنوعة من (الظران) الصوان وبعض الأبر والآلات المصنوعة من النحاس .

وإذا سرنا على هدى أشكال المقابر وما عثرنا عليه فيها فإنا لا نتردد في العودة بتاريخ هذه الجبانة إلى الأسرة الأولى . على أننا قد وجدنا اسم الملك سمرخت (سابع ملوك هذه الأسرة) منقوشاً على إناءين من الفخار .

الموسم الثاني

بدأ هذا الموسم في أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، وانتهى في ٣١ مايو سنة ١٩٤٤ .
وبدأنا العمل في الجزء الأول من الموسم في المساحة الواقعة غربي المنطقة
التي حفرت في الموسم الأول عام ١٩٤٢ . وكان العمل في الجزء الثاني من
الموسم يجري في المنطقة الواقعة شمالي عزبة الوالدة ، كما قضا بعمل مجسات
غربي مدينة حلوان الحمامات وفي بعض أمكنة في الصحراء الواقعة شمال
حلوان الغربي .

أما المنطقة التي دار فيها العمل في الجزء الأول من الموسم الذي امتد من
أول نوفمبر إلى ١٥ فبراير ، فقد عثر فيها على ١٢٦٦ مقبرة ، عثرنا فيها على
بعض مظاهر جديدة لم تكن مألوفة لدينا في أمثال مقابر هذا العصر — عصر
الأسرة الأولى — إذ وجدنا أشياء كثيرة من أشكال متنوعة كالأواني
والأوعية المصنوعة من المرمر والشست (الاردواز) والجرانيت وحجر البريشيا
وحجر السربنتين والبازلت والبرونز والعاج ، وبعض عقود مصنوعة من حبات
القاشاني الأخضر والأصناف والعاج والأحجار نصف الكريمة مثل العقيق
الأحمر والأبيض واللأزورد وحجر الدم ، وبعض أساور من العاج وأصناف
الؤلؤ والشست والصوان والحُرز المختلف الأنواع والألوان ، وبعض سكاكين
من الصوان بينها أكبر سكين من هذا الصنف عثر عليها حتى الآن إذ بلغ
طولها ٤٨ سنتيمترا .

أما المنطقة التي دارت فيها الحفائر في الجزء الثاني من الموسم الذي امتد
من ١٦ فبراير سنة ١٩٤٤ إلى ٣١ مايو — وقد حظيت المنطقة بشرف اختيار
جلالة الملك الشخصي لها خلال تشرفها بزيارة جلالتها — فقد كشفنا فيها
٣٦٦ مقبرة بعضها كبير الحجم . وتبين لنا أن إحدى هذه المقابر كانت لأحد
كبار الموظفين في عصر الملك عدج إيب سادس ملوك الأسرة الأولى . وفي
مقبرة أخرى عثرنا على جزء من سدادة فخار عليها اسم الملك دن ، خامس
ملوك الأسرة الأولى . وفي مقبرتين أخريين عثرنا على إناءين من الفخار
عليهما اسم الملك كا ، الذي يظن أنه حكم مصر قبل عصر الأسرة الأولى .

وتدل جميع هذه القرائن بوضوح على أن تاريخ هذه المنطقة يرجع إلى الأسرة الأولى (٣٢٠٠ ق . م .) وبذلك يزول كل شك خالج العلماء الذين كانوا يشكون في هذا التاريخ . والآثار التي عثر عليها في هذه المقابر تشبه تلك التي عثر عليها في المنطقة الأولى إذا استثنينا الآثار الفخارية ؛ فقد كانت هذه الآثار تتكون من أوان من الفخار كبيرة الحجم ذات أشكال ، وهي وإن كانت لا تخرج عن الأشكال المعروفة من قبل فانها تفوق من حيث عظم الحجم والضخامة كل ما وجد من قبل . وفي بعض المقابر الكبيرة وجدت صوامع حقيقية كبيرة للحبوب من الفخار ، وهذه هي المرة الأولى التي عثر فيها على مثل هذه الصوامع الفخارية . وقد اتضح أن بعض هذه الصوامع كان يحتوي على حبوب أمكن تمييز القمح من بينها .

أما المحسسات التي أجريت إلى الغرب من مدينة حلوان الحامات فقد كشفت عن بعض مبان من العصر الروماني ، بعضها شاهق الارتفاع ، وربما كانت قد بنيت على أنقاض مساكن أقدم منها عهداً . وإنه لمن المهم إجراء حفائر في هذه المنطقة ؛ إذ يحتمل أن تكشف فيها آثار المدينة التي كان يعيش فيها أهالي الأسرة الأولى ، وهم الذين دفنوا في الجبانة الكبيرة المجاورة التي يسير الحفر فيها . وفي إحدى الجهات التي أجريت فيها المحسسات إلى الشمال الغربي من حلوان في قلب الصحراء وجدت مقابر من عصر الأسرة الأولى أعيد استعمالها في العصر الروماني . وفي جهة أخرى كشف عن مقبرة من عصر الدولة الوسطى وجدنا فيها قطعاً من الفخار ورقائق من الذهب .

الموسم الثالث

بدىء العمل في هذا الموسم في اليوم الثاني والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٤ وانتهى في اليوم الحادى والثلاثين من مايو سنة ١٩٤٥ . وتبين من الحفر أن المقابر من عصر الأسرتين الأولى والثانية ، ما عدا القليل جدا منها ، مما يرجع عهده إما إلى عصر ما قبل الأسرات أو إلى عصور متأخرة . وكشف في هذا الموسم عن ٨٤٧ مقبرة كان من بينها ١٤٩ مقبرة سليمة لم تمس .

والآثار التي عثر عليها في هذه المقابر على جانب كبير من الأهمية ، بل بعضها قد في نوعه تماماً .

وفيا يلي أهم النتائج التي أمكن الوصول إليها :

أولاً : إن العثور على مقابر كبيرة ذات غرف للدفن مبنية من الحجر الجيري الأبيض هي ودرجها - السلام - لهوشى جديد تماماً في الأسرة الأولى . فجدران غرف الدفن في هذه المقابر بنيت كلها بكتل كبيرة من الحجر الأبيض وصفت الواحدة منها إلى جانب الأخرى دون التقيد بترتيبها في صفوف أو مداميك ، كما غطيت أرضية الغرف بالأحجار أيضاً . أما قبل هذا الكشف فإن كل ما كنا نعرفه كان مقصوراً على أن استعمال الأحجار يبدأ في منتصف الأسرة الأولى في تغطية أرض حجرة الدفن بمقبرة الملك دن ، وكذلك في آخر الأسرة الثانية حيث بنيت حجرة الدفن بمقبرة الملك خاسخموى من الحجر الجيري .

ثانياً : إن الفتحتين اللتين توجدان في أعلى السدود الحجرية كان المعروف عنهما أنهما يمكنان روح الميت من رؤية الأقارب والكهنة أثناء تأديتهم الطقوس الدينية . كما أنه قيل إن الفتحتين ربما استعملتا لينفذ منهما شذى البخور المحروق فتستنشقه روح الميت . ولكن وجود هذه الفتحات في الجزء الأسفل واختلاف عددها - فهي في بعض الأحيان فتحة واحدة وفي البعض الآخر فتحتان ، وفي مثل آخر أربع فتحات - كل ذلك يدل على تفسير أكثر احتمالاً ، وهو أنها كانت تستعمل لتساعد على تثبيت الجبال حول هذه السدود الحجرية كي يستطيع تدليتها إلى حيث تسد باب المقبرة سداً محكماً . وقد وجدت هذه الفتحات أيضاً في الأجزاء العلوية من كتل أحجار استعملت في بناء الجدران الأربعة لحجرة دفن إحدى هذه المقابر .

ثالثاً : في إحدى مقابر عصر متأخر ، ربما كان عصر الأسرة الحادية عشرة ، وجد تابوت مبنى من حجارة مهتمة ، وكتب على جدرانه الداخلية نص يمحيط اللثام عن مسألة كان يجري البحث عنها منذ بدأت الحفائر في سنة ١٩٤٢ م . ألا وهي اسم المدينة التي كانت هذه المنطقة جبانة لها . فهذه المدينة هي هليوبوليس (أون القديمة) ، وكانت على الأرجح مدينة ازدهرت قبل أن تنشأ مدينة منفيس على الجانب الآخر من النيل . ولكن هذه المدينة اختفت

في طيات الماضي البعيد إلى أن أعيد بناؤها بعد ذلك في المكان الذي تقوم فيه مسلة « عين شمس » المطرية حتى الآن .

رابعاً : إن المعروف أن مكان اللوح الجنائزى فى المقبرة يقع فى الحائط الغربى مواجهها الشرق . ولكن هذه الحفائر كشفت عن مقبرة يرجع عهدها إلى الأسرة الثانية لها درج منحوت فى الصخر يفضى إلى حجرة منحوتة تحت الأرض . ووجد فى سقف هذه المقبرة من الجهة الغربية فتحة مستطيلة وضع فيها لوح جنائزى تتجه نقوشه إلى أسفل مواجهة الميت، كما وجدت مقبرة أخرى بها لوح موضوع بالشكل نفسه . وهذه الفتحة التى توضع فيها اللوحة الجنائزية تحفر رأسياً ابتداء من سطح الأرض ويوضع فى نهايتها اللوح الجنائزى فوق مكان الميت . ووجدت فتحات مشابهة فى أربع مقابر أخرى . هذا الكشف يلقى ضوءاً جديداً على الديانة فى هذا العصر ؛ إذ أنه يشير إلى أن روح صاحب المقبرة تصعد إلى السماء من هذه الفتحة . غير أن هذا التفسير سوف يكون دون شك مجالاً للنقاش ومثاراً للبحث بين علماء الآثار .

وقد تشرفت منطقة الحفائر بزيارة مولانا الملك المعظم فى اليوم الرابع من شهر يونيه ، وأبدي جلالته أيضاً من سابع عطفه وتشجيعه .

الموسم الرابع

أما الموسم الرابع بمنطقة حفائر صاحب الجلالة الملك بجلوان فقد بدى فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٥ حيث كشف عن ٧٠٦ مقبرة وجد منها ١٨٠ سليمة لم تعبت بها أيدي اللصوص ، وتقع جميعها فى الجهة الشرقية من منطقة الموسم الثالث . وقد انتهى العمل فى ٣١ مايو سنة ١٩٤٦ .

وقد كشف إلى الشرق من الجهة المذكورة عن مبنى كبير من اللبن طوله من الشرق إلى الغرب نحو ٥٠ متراً ومن الجنوب إلى الشمال ٣ متراً ، وهو مقسم إلى حجرات تتوسطها صالة كبيرة ، وبها حفرة على شكل دائرة . ومدخل هذا المبنى فى الجهة الغربية ، وهو عبارة عن باب متسع ، وقد اشتهر هذا المكان عند أهالى المنطقة باسم « دير الملك شهران » . ولما كان قد ورد فى بعض النصوص التاريخية ذكر لهذا الدير ، فمن المرجح أن يكون

هذا المبنى هو دير شهران الذي ذكره بعض مؤرخى العرب مثل أبى صالح والشابشتى

وقد كشف عن مقبرة كان الجزء العلوى منها مبنيا بالحجر الأبيض إلا أن أغلبه أزيل ولم يبق منه إلا القليل . ويبلغ طول هذا البناء من الشمال إلى الجنوب ٥٧ متراً ومن الشرق إلى الغرب ٣ متراً . وعثرنا فى الوسط على بئر مبنية من الجهات البحرية والشرقية والغربية بأحجار صغيرة على نمط البناء بالبز (الطوب الأخضر) . أما الجهة القبلىة - الجنوبيية - فقد بنيت بكل دقة بكتل كبيرة من الحجر يبلغ طول الواحدة منها أربعة أمتار ونصف متر وارتفاعها نحو المتر وسمكها ٣ سم تقريبا . وبنيت هذه الكتل على هذا النمط لتكون سقفاً لحجرة الدفن التى وجدت منية بالحجر نفسه ، وعلى جانبى المدخل مخزان سقفيهما من كتل الحجر على شكل جذوع النخيل . وقسمت حجرة الدفن إلى قسمين : قسم خارجى يقع على جانبه الشرق والغربى المخزان المذكوران ، وقسم داخلى كان مخصصا لدفن صاحب المقبرة ، وينتهى سقف هذا الجزء بمحرم مستدير يمثل الستر الذى يمكن إسداله ورفع

ومن طريقة بناء هذه المقبرة ومن الآثار القليلة التى وجدت بها يمكننا أن نجزم بأن تاريخها يرجع إلى العصر العتيق . وتعتبر هذه المقبرة أكبر ما كشف عنه فى هذا العصر حتى الآن ، ولا يمكن أن يكون صاحبها إلا شخصاً ذا خطر كبير ، فاما أن يكون ملكاً أو عظيماً من عطاء هذا العصر .

وتعد المقابر التى كشفت فى هذا الموسم فى غاية الأهمية . وبعضها جديد علينا لم يعثر على شبيهه له من قبل . مثال ذلك مقبرة من عصر الأسرة الأولى بنيت جدران حجرة الدفن فيها بكتل من الحجر يبلغ طول الواحدة منها أربعة أمتار وارتفاعها مترين وسمكها ٤ سنتيمترا . ووجد بالجهة البحرية من حجرة الدفن المر الموصل إلى المدفن ، وعلى جانبه أربعة مخازن عثرنا فى واحد منها على بقايا جنتين لثورين ومعهما ثلاثة سكاكين من الصوان لم يسبق أن عثر على مثيل لها من حيث دقة الصنع والحجم ؛ إذ تبلغ أطوالها بالتتالى ٤٤,٥ و ٤١,٥ و ٣٥ سنتيمتراً

كما عثرنا على مقبرة صغيرة من عصر الأسرة الأولى بنيت حجرة الدفن فيها بالبز ، وإلى الجنوب والشمال منها مخزان للأواني الجنازية ، ووجد صاحب

المقبرة وما حوله من الأدوات سليما ، ومن بينها نموذج لعمود من سن الفيل رأسه مكون من ثمانى زهرات لوتس ، سبع منها تكون رأس العمود ، والثامنة فى الوسط . ولكل زهرة من زهرات اللوتس ساق من سن الفيل صنعت جميعها وكأنها مربوطة بثلاثة حبال تحت الزهرات مباشرة . وترينا هذه القطعة دقة الصناعة فى الأسرة الأولى ، ومنها يمكن الوقوف على أصل الأعمدة المستعملة فى المعابد فى الأسرات التالية .

وعثرنا على كثير من الأواني المصنوعة من المرمر والاردواز والبلور الصخرى ، وكذا عقود من العقيق الأحمر والاماشيست والفيانس الأخضر وأساور من الصوان والاردواز والعاج .

ووجد فى مقبرة صغيرة لطفل من الأسرة الأولى صندوق مطعم بسن الفيل بطريقة لم تعرف من قبل . ومما يثير الدهش أننا عثرنا على عدة هياكل لأصحاب بعض المقابر لازال الشعر على جماجمها . وقد عينا بحفظ عينات من هذا الشعر ، وألوانها أصفر ذهبى وكستنائى وأسود ، كما أن بعض هذا الشعر قد وخطه الشيب .

الموسم الخامس

بدأ الموسم الخامس فى التاسع من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٦ وانتهى فى الثامن والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٤٧ . وقد كشفنا عن ٨٢٥ مقبرة منها ٢٤٢ سليمة لم تعبت بها أيدي اللصوص ، عثرنا فيها على قطع أثرية كثير منها طريف لم يعرف له نظير من قبل ، كما أن من بينها تحفاً آية فى فن النحت ودقة الصنع . وكثير من المقابر كبير الحجم بنى من طبقتين أو ثلاث طبقات ، مما يثبت أن أصحابها كانوا ذوى مكانة ملحوظة أيام حياتهم ولم يكونوا من غمار الناس وقد عثرنا على ثلاث مراكب لثلاث مقابر ، اثنتان منها فى الجهة البحرية للمقبرة والثالثة فى الجهة الشرقية . وهذه المراكب كانت تعد للحياة الأخرى حيث يسير بها المتوفى فى موكب الآلهة . ولعل وجود المقابر ذات المراكب مما يعزز علو شأن الجبانة التى نقوم بالحفر فيها والتى سبق فى الموسم الثالث أن عرفنا أنها جبانة عين شمس القديمة .

ومن الآثار الهامة في هذا الموسم تمثال صغير من سن الفيل يمثل رجلا أحذب الظهر والصدر وقد ركع في خشوع ممسكا آنية من سن الفيل بين ذراعيه ، وكأنه يقدم ما قد حوته لسيد يجب احترامه والخشوع في حضرته . ويعتبر هذا التمثال من ناحية الصناعة الدقيقة وقوة التعبير من أروع ما عثرنا عليه حتى الآن . ويكفي أن يدقق الناظر إليه قليلا حتى يرى مسحات الوجه البينة وطريقة تصفيف الشعر بذوق جميل وهو على نمط الوزير ؟ (ثت) الرسوم خلف الملك نارمر على لوحته المشهورة بالمتحف المصري .

وعثرنا كذلك على مجموعة كاملة للعبة مكونة من نوعين ، كل نوع من سبعة قطع من المرمر ، ومع هذه اللعبة نوع من العملة التي كانوا يتداولونها في أثناء اللعب ، وهي عبارة عن ستين حبة مختلفة في الحجم والشكل واللون ، وهذا ، إلى حد ما ، يشبه ما يتعامل به اللاهون في ألعاب التسلية الآن وما يعرف بالفيش ؛ إذ لكل منها قيمة نقدية تعرف بين اللاعبين .

وعثرنا على مقبرة صغيرة وضع مع صاحبها تمثال صغير من سن الفيل لشخص يجلس القرفصاء وقد وضعت كف يده اليسرى على ركبته اليسرى ومنكب يده اليمنى على ركبته اليمنى والأصبع السبابة في فمه . ولما كان هذا التمثال عاريا فالمرجح انه لطفل . وبالرغم من دقة الصنع فان الأذنين متناهيان في الكبر وهذا من مميزات عصر الأسرة الأولى .

ومن القطع الفريدة دائرة تشبه العجلة صنعت من الفيانس الأخضر ودخلها سبع شعب تبتدى من وسط الدائرة وتنتهي باطارها الخارجي ، وثمة فرع ثامن يختلف عن الشعب السبع . ومن المرجح أن هذه الشعب السبع هي جريد نخل ، والشعبة الثامنة جذع نخلة صنعت جميعها على شكل حلية . وعثرنا على كثير من الأواني المختلفة الأنواع والأشكال ، وكذلك على كمية من الأساور والعقود والأمشاط وأدوات الزينة المختلفة ، كما وقفنا للعثور على نماذج من شون الغلال تعد فريدة في نوعها .

ذكي برصف معر